مقاربة التّلقــي والتّأويـل ودورها في التعرف على جمهور وسائل الإعلام المسرح الجزائري أنموذجا

د. ليليا شاوي

كلية علوم الإعلام والاتصال –جامعة الجزائر3-

ملخص:

من الحقائق الواضحة أنّ الجمهور من أهم المتغيرات في عملية الاتصال، فإذا لم يكن لدى القائم بالاتصال فكرة جيدة عن طبيعة الجمهور وخصائصه، فسوف يحد ذلك من مقدرته على التّأثير فيه، وإقناعه مهما كانت الرسالة معدة إعدادا جيداً، ومهما أحسن اختيار القائم بالاتصال والوسيلة، فهناك العديد من المتغيرات التّي تؤثر على المضمون: خلفية المتلقي وتجاربه السابقة وعواطفه وتعليمه وجنسه وسنه وشخصيته، مجموع هذه المتغيرات تجعل دراسة التّلقي مهمة لأنّ الجمهور هو الهدف الأساسي الّذي يسعى القائم بالاتصال إلى الوصول إليه والتّأثير فيه. ومن هنا سنحاول من خلال هذه المداخلة إعطاء مشهد علمي حول مقاربة التّلقــي والتّأويـل ودورها في التعرف على جمهور وسائل الإعلام من خلال معالجتنا للعناصر التالية:

1- الكلمات المفتاحية(فعل التّـلقي ، فعل التّأويــل).

2- فعـل التّلــقي ونظريتــــــه.

3- مفاهيم الجمهور الحديثة من خلال نظرية التّلقي.

4- فعـــل التّأويـــل وبنــاء المعـــاني.

5- علاقة نظرية التّلقي بنظريات الاتصال.

6- الجمــهور الجزائـــري وأنمـــاط تلقـــيه.

مقدمة:

إنّ التحدث عن الإعلام من زاوية الوسائل وحدها أو من زاوية العملية الإعلامية معزولة عن الإطار الاجتماعي والثقافي لا يمكن أن يؤدي إلاّ إلى طريق مسدود، فوسائل الإعلام تحتاج إلى جمهور من المتلقيين حتى يكون للمادة الإعلامية التي تبثها وتنشرها فائدة وفعالية، ووسائل الإعلام تتأثر بجمهورها كما تؤثر فيها ويتميز جمهورها بالتباين والتعارض الاجتماعي والاقتصادي، وفي الخصائص السيكولوجية لذلك فعلى القائم بالاتصال معرفة الجمهور الذي يتعامل معه لأنّ الفهم الدقيق لجمهورها هو أوّل مهام العمل الإعلامي، لذلك فالسؤال الذي يطرح نفسه علينا هنا: كيف يمكن التعرف على جمهور وسائل الإعلام؟ وما هو دور مقاربة التلقي والتأويل في ذلك؟

1- الكلمات المفتاحية(فعل التّـلقي ، فعل التّأويـــل).

أ-فـعل التـّـلقي:

ترتبط عملية التّلقي بإرسال القائم بالاتصال لفكرة أو معلومة تثير انتباهه، ففعل التّلقي يعني استقبال الجمهور للرسالة الإعلامية من خلال وسيلة جماهيرية، والأساس في عملية التّلقي هو العمل الّذي يقوم به المتلقي تجاه ما يراه أو يقرأه أو يسمعه، ففي كل عمل يربط المتلقي بين مرجعه الخاص، وبين العالم الوهمي الّذي يتضمنه النص وبين واقعه ، فالمتلقي هو الجهة المستقبلة للرسالة، وقد يكون فردا أو جماعة ، ومن هنا يمكن تقسيم التّلقي إلى نوعين:

*التلقي المباشر: أين تنساب الرسائل من الوسيلة المادية إلى الحواس البشرية بصورة مباشرة، حيث يعمل المتلقي على الحصول على حاجاته وإشباع رغباته من الترفيه والإعلام والتوجيه والتثقيف وذلك توافقا مع رغباتهم وميولهم وقدراتهم اللغوية والدلالية التي تسمح بفك الترميز .

*التلقي الغير مباشر: نقل الرسائل وتفسيرها للآخرين، بشكل غير محسوس أي عن طريق وسطاء وفق نظريات التأثير الغير مباشر.

ب -فعل التّأويل:

لا يمكن أن يكون هناك تأويل إلاّ إذا كان هناك أثر أو تأثير تترك وسائل الإعلام في المتلقي، ويمكن فهم التأثير والأثر من خلال ضبط مفهوم المصطلحين فيما يلي:

1-التأثير: هو"العملية التّي يقوم من خلالها الأفراد بتبني فكرة مستحدثة معينة في تنظيم اجتماعي معين بالتّأثير في غيرهم ممن لم يتسن لهم بعد الإيمان بالفكرة" ، كما يعرف بشكل عام على أنّه:"بعض التغيير الّذي يطرأ على مستقبل الرسالة كفرد، فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، وقد تجعله

يكوّن اتجاهات جديدة أو يعدّل سلوكه السابق فهناك مستويات عديدة للتّأثير، ابتداءا من الاهتمام إلى حدوث تدعيم داخلي للاتجاهات إلى حدوث تغيير على تلك الاتجاهات ثمّ في النهاية إقدام الفرد على سلوك علني ، والتّأثير هو ما يمكن يحدث من تغيير في المواقف والسّلوكيات والآراء والمعلومات والمعتقدات من جراء انتقال الرسالة الإعلامية إلى المتلقي، فالرسالة الإعلامية قد تلفت انتباه المتلقي فيدركها، وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، أو يعدّل من اتجاهاته السابقة وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة أو يعدّل سلوكه السابق ، وتأييدا لما جاء به السّعيد بومعيزة حين تطرق لدّراسة الأثر دون التأثير في أطروحته –تناولت دراسة الأثر–باعتبار هذا الأخير مازال يطرح مشاكل في ميادين بحوث الإعلام نظرا لصعوبة قياس طبيعته ودرجته وتحديد مصدره بالضبط ، إضافة إلى أنّ التّأثير يقتضي دراسته كعملية، أي متابعة إرسال الرسالة ووصولها ومن ثم ملاحظة الأثر المترتب عن ذلك ولدراسته يجب الاستعانة بالمنهج التجريبي(التجربة).

–مفهـــوم التّأويـــل واستعـــمالاته:

إنّ مفهوم التّأويل شديد الارتباط بالتصور الّذي نملكه للدلالة وعن شروط وجودها وأشكال تحققها فالمعطيات الأولية في مجال اللّسان تشير إلى أنّ الكلمة لا تقف عند حدود التعيين لمرجع محايد مستقل، وتشمل كلمة تأويل على مجموعة من السّياقات المحتملة ، ولقد أصبح التّأويل نشاطا ضروريا تستند إليه كل العلوم الإنسانية من أجل فهم أكثر للتراث الإنساني قديمه وحديثة .

كما أنّ التّأويل يعني وجود استقطاب ثنائي يجمع بين معنى خفي وآخر مباشر، هذا المعنى قريب جدا من التفسير الّذي يشير إليه صاحب لسان العرب في مادة(لقي) حيث ارتبط التّأويل عنده بالتفقه وتدبر نصوص القرآن . إلاّ أنّ التّأويل باعتباره نشاطا معرفيا لم يعد محصورا ضمن حدود هذا الاستقطاب الثنائي، كما لم يعد يبحث في النصوص الدينية عن سر أو أسرار تختفي في تلبيب المعني الحرفي، لقد أصبح التّأويل نشاطا ضروريا تستند إليه العلوم الإنسانية، ولقد قسم إمبيرتو إيكو التّأويل إلى تيارين كبيرين :

–تيار يرى في التّأويل فعل حر لا يخضع لأية ضوابط أو حدود، فالصيرورة التّأويلية تتطور خارج قوانين انسجام الخطاب أو تماسكه الداخلي، استنادا فقط إلى رابط دلالي يفصل بين المعرفة التّي تقدمها العملية في حالتها البدائية وبين المعرفة التّي تقترحها المدلولات التالية الناتجة عن أفعال التّأويل .

–تيار ثاني يعترف بتعددية القراءات ولكن يسمح في الوقت ذاته بمحدوديتها من حيث العدد والحجج وأشكال التحقق، فالتّأويل مرتبط بغاية وغايته توجد خارج السيميوز، وهذه الغايات هي التّي تجعلنا نقبل بعض التّأويلات ونرفض الأخرى، أو قد نقبلها في سياق ونرفضها في سياق أخر، وأي تغير في الدلالات يؤدي إلى بروز تّأويلات

جديدة .

يهدف التّأويل في أصوله القديمة إلى تفسير النصوص وقد أصبح مصطلح التّأويل علما عاما في الفهم ومنهجا لتفسير ظواهر العلوم الإنسانية والطبيعية، وبدأ التّأويل مع بدء اللّغة وكان يمثل الخطاب الملفوظ أو المكتوب وفي هذا الشأن يقول الفيلسوف أرسطو:" تتشكل الأصوات المتلفظ بها رموزا لحالات النفس كما أنّ الكلمات المكتوبة تشكل رموزا للكلمات المتلفظ بها داخل الكلام ."

أما باتريس بافيس فيحدد التّأويل في قاموسه بأنّه :"منهج لتفسير النص أو العرض، وهذا التفسير يقترح معنى يأخذ في اعتباره موقف المتلقي من الإفصاح عن رأيه وتقييم العمل الفني ."

ويرتبط التّأويل بشبكة واسعة من قضايا الإنسان وعلاقاته بالمجتمع، حيث يعكس القيّم والمبادىء والأعراف لذلك المجتمع أو يستند إليها ويخضع لضروراتها ومن هنا تختلف العملية التّأويلية بين المجتمعات ومن فرد إلى آخر، ونشير بالذكر أنّ علماء اللّغة عرفوا معنى التّأويل في اللّغة، وأوضحوه بشكل محدد ودقيق، نذكر من تلك التعاريف التالية :

في الحديث الشريف ما جاء في كتاب (النهاية) لابن الأثير ، قال : « و في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (اللّهم فقهه في الدين وعلِّمْهُ التّأويل)، وهو من آل الشيء يؤول إلى كذا، أي رجع وصار إليه والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، وقال الراغب الاصفهاني : "التّأويل من الأول، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا، ففي العلم نحو: (وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم..."، وفي الفعل كقولالشاعر: وللنوى قبل يوم البين تأويل"، أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه وقد حدثت على مر العصور معركة فكرية حول منهج التأويل وما أنتجه من فكر ومعرفة، والتّأويل أسلوب معرفي عام يستعمله العقل البشري لاكتشاف الغوامض، مما يشير إليه اللّفظ أو الحدث أو الرمز فقد اعتاد النّاس ولأسباب فنية أن يعبروا عن مقاصدهم أحيانا بطريقة لا تكشف إلاّ بالتّأويل كما أنّ بعض الأفعال والحوادث الصادرة عن الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد إنّما هي رموز تكشف عن حقيقة غير مصرح بها في ذلك الفعل أو الحدث، واستنتاجها هو التّأويل.

التّأويل: *ضرورات

انشغل العرب والمسلمون بأشكال التّأويل، لأنّ عملية التّأويل ضرورية لكل كائن بشري سوي يعير انتباه إلى ما يحيط به من ظواهر الكون فيريد أن يتعرف على تفاصيل ما ظهر منها، وتقوده عملية التعرف على الظواهر إلى

طلب معرفة ما خفي منها و ما بطن، وإذا كانت الظواهر أو الأفعال أو السّلوك لا يتلاءم مع ما يستنبطه من معارف وعادات، فإّنه يلجا إلى عملية تأويل الظواهر والسّلوك أو الأفعال ليجعلها منسجمة ومتناغمة مع معارفه الخلفية، فالتّأويل إذن يعكس الأولويات والمبادئ والأعراف، ومشاغل أمة من الأمم، ومشاغل أفراد من أفرادها لهذا فإنّ التّأويل يختلف من أمة إلى أمة ومن فرد إلى آخر داخل الأمة نفسها، بل وقد يختلف اختلافا جزئيا أو كليا لدى الفرد الواحد لأن التّأويل عملية تاريخية وتأريخية بمعنى أنّه خاضع لإكراهات التاريخ، ومهما اختلفت التّأويلات باختلاف الأديان والأجناس والأمم والجماعات والأفراد وتطورات الأفراد، فإنّ أصل نشأته وصيرورته وأجرائه يرجع إلى مقولتين: أولهما غرابة المعنى عن القيّم السائدة، القيّم الثقافية والسياسية والفكرية، وثانيها بث قيم جديدة بتّأويل جديد، أي إرجاع الغرابة إلى ألفة، ودس الغرابة في الألفة ، وإبلاغ معنى النص إلى الآخرين هو الخطوة الأولى عن طريق التفسير والفهم وهو أول حركة للتّأويل، وإذا كان مسلما به أنّ لا نص بدون تأويل، فإنّ التّأويل منعدم بدون فهم، والتّأويل هو تحقق لدرجة أعلى من الفهم إلى مستوى التّأويل (التفسير) ، ويكون مستوى التّأويل كالتالي:

-التّأويل للنص، لا يمنع تأويلات مخالفة.

-النّص الواحد يحتمل مستويات مختلفة من التّأويل.

-إستراتيجية التّأويل تنبني رجوعا إلى: ما نملكه من معرفة وثقافة، وعبرهما صورة للنص، وما يحركنا من هدف، وتسليما بذلك يصبح التّأويل اختيارا، قد يكتفي ويشتغل بعناصر ومادة، قد لا يعطيها مؤول آخر أهمية لأنّها لا تدخل في المشترك الذي يتناسب ويتوافق مع إستراتيجيته، خصوصا إذا كان التّأويل يستعين بأحكام مسبقة ذات سياق خارج عن النص، ومعناه إذا كان التّلقي حدثا تواصليا يعكس نوعا من أنواع التّفاعل بيننا وبين الباث، فإنّه لابد من أن يكون التّأويل شكلا محددا للتفاعل بيننا وبين النص، أي محاولة إقامة بنية للتلقي بمستويين للتّفاعل هما:(تفاعل المتلقي بالباث أي التواصل، وتفاعل المتلقي بالنص أي تأويل)، ويبدو أنّ التّأويل وحده هو القادر على أن يجعلنا متفاعلين مع النص ويشرح لنا طريقة فهمنا له ومن شروط التّأويل في الفعل الثقافي: (استحالة التعميم فما يصلح على مجموعة محلية لا يمكن إسقاطه على مجموعة أخرى ، واستحالة التنبؤ والأهم هنا هو الكشف عن تلك البنى المفهومية الكامنة خلف أفعال الأشخاص الذين نتابعهم وإبراز المميزات المكونة لها، أي ما يتعلق بالأشخاص بوصفهم ما هم عليه) .

2-فعـل التّلــقي ونظريتـــــه:

أ-المحـــاولات الأولى للاهتمـــام بالمتلــقي:

إنّ النظرية الموسومة بـ:"نظرية التّلقي" في حقيقتها محاولة جادة لتجديد تاريخ الأدب الذي عان ركودا كبيرا أقعدته فيه المناهج التي عرفها النقد الأدبي طوال مسيرته، حتى جاءت هي شاقة طريقها بصعوبة فائقة داخل تلك الترسانة الضخمة من المناهج، فقد كانت البادرة الأولى لها للفيلسوف أرسطو في مؤلفه "فن الشعر"، والذي يعد أحد أصول العملية النقدية، حول ما أسماه "بالتطهير" حيث نسب للأدب وظيفة تطهيرية ولذلك فإن الوضعيات التي يتم فيها التمويه تعد ذات شأن في تحقيق الاندماج التام للمتلقي (المشاهد) مع العمل الدرامي، ولذلك فقد استند أرسطو إلى طريقة في تحقيق الإيهام، وهي المماثلةالتي أقامها بين محاكاة العالم الرمزي والطبيعة . وقد بدى الأثر الفعلي في ظهور هذه النظرية من خلال التفسير الذي قدمه لسنج فيما بعد لمقولات أرسطو حول فكرة التطهير ، الّتي لا يخفى ما فيها من اهتمام مبكر جدا بأحد عناصر العملية التواصلية ألا وهو المتلقي، فكأن أرسطو يحاول أن يقول للنقاد الذين سيأتون بعده أن العمل الدرامي أو العمل الأدبي عامة يؤثر في المشاهد أو القارئ تأثيرا أكيدا، لكن الباحث في الإرهاصات الأولى لنظرية التلقي لا يمكنه المغادرة دونما العودة إلى فرقة فلسفية قد تكون أسبق من أرسطو وجدت لديها اهتمامات بالمتلقي وهي فرقة السفسطائيين *فالسفسطائيون كان لهم اهتمام –وإن لم يكن مباشرا– بعنصر المتلقي خاصة عند زعيمهم لونجينوس الذي وجدت عنده بعض إشارات إلى جمالية التلقي ضمن نظريته حول السمو التي رأى من خلالها أن البلاغة هي نوع من السمو، ونشير بالذكر بأنّ التراث النقدي والبلاغي العربي كان له هو الآخر اهتمام بمفهوم المتلقي وبعنصر السامع خلال العصور الوسطى بل حتى في العصور السابقة لها(المعلقات والشعر الجاهلي)، فقد صارت قضية المعنى من بين القضايا الهامة التي شغلت بال الدارسين والنقاد آنذاك خاصة بعد ظهور وتطور الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم، وأسرار بيانه، وأوجه إعجازه، إذ توصلوا إلى ما أسموه بمفهوم "التمكين" ذلك لأن هدف البلاغة العربية كان أولا وأخيرا تمكين المعنى في نفس السامع، وحول هذا الموضوع يقول الدكتور عودة خضر: "إن قضية المعنى الأدبي ذات طابع تمييزي فهي تساهم في تحديد مفهوم المتلقي في النظرية النقدية، وقد سعت النظرية النقدية القديمة سعيا حثيثا نحو فهم المعنى، لكنها فهمته على أنّه معنى للمؤلف أراد أن يلفت الأنظار إليه، ويفرضه على أصحابه ويوهمهم بحقيقة" ، فهذه الأمور وربما هناك غيرها وإن كانت تعود إلى حقب أدبية بعيدة إلا أنّها كانت بمثابة البذرة الأولى لبنية سميت فيما بعد بنظرية الاسّتقبال أو التّلقي، والّتي قد تكون فعلا تغذت منها لتصير نظرية في الأدب لها قوانينها، وأصولها.

يرجع الفضل لكل من بيرس Peirce وسوسير Saussure في جذب اهتمام العلماء للإمكانات القوية وغير المحدودة التي تتسم بها الرموز والإشارات بشكل عام في عملية تأويل أو تفسير وإعادة تفسير الظواهر الاجتماعية،

فبداية الاهتمام بدراسات التلقي كانت بداية من قارئ النص الأدبي، وقد بدأ الاهتمام بالقارئ والقراءة قبل ظهور نظرية التلقي، غير أن هذا الاهتمام لم يسفر عن تصور منهجي نسقي لهذه العملية، بحيث بقي في طور البدايات، فهو يذهب في إطار التفاعل بين الكتابة والقراءة إلاّ أنّ الكاتب إنما يكتب للقارئ من حيث هو فرد من أفراد الناس في العالم وفي هذا السّياق يحدد طبيعة القارئ المستهدف.

ب-نظرية التلقي... النشأة والأسس :

ارتبطت نظرية التلقي ارتباطا آليا بالمدرسة الألمانية في الستينيات، فجماعة برلين كانت تنظر إلى التّلقي باعتباره عملية فنية واجتماعية محكومة بقاعدة فلسفية مستمدة من النظرية الماركسية ، أما جماعة كونستانس فتعد المرجع الأساسي في جمالية التلقي والتي ستعيد للقارئ اعتباره من خلال روادها الكبار: "ياوس وايزر" إذ لا يمكن، والمرء يتحدث عن التلقي، إلاّ ويجد نفسه مضطرا للانطلاق من صميم أفكارها باعتبارها مسالك الخوض في قضايا التّلقي.

نشير بالذكر أنّ الوجود التاريخي لنظرية التّلقي في شخص المدارس الألمانية يشكل حافزا إضافيا للبحث في ماهية التّلقي، والعودة ببعض مفاهيم هذه النظرية، حيث يقول محمود عباس عبد الواحد: " يبدو من محتوى النظرية، أنّ أساس المشكلة بين المتناظرين ليس فقط في فقدان التّأثير المتبادل، بل مصدرها الخلافات المذهبية الحادة بين أطراف الحوار من رواد الرمزية والبنيوية والجمالية الماركسية، فالنظرية كما عرفنا كانت تمردا على تلك المذاهب المنتشرة في ألمانيا آنذاك، ولعل اختيار مصطلح(الاستقبال) بالذات كان يمثل لدى أصحابه معنى من معاني التمرد على النقد الماركسي بشكل خاص ."

إنّ أبرز فكرة جاءت من أجلها نظرية التّلقي هي إعطاء القارئ مكانة متميزة ضمن العملية الإبداعية. فالنص ليس ذا قيمة ما لم يُقرأ وما لم يكن قابلا لقراءات متعددة، مستعصيا على أن يستهلك من قراءة واحدة وهذا بالذات هو ما حاولت الاتجاهات السابقة على نظرية التّلقي تزكيته، إذ كانت ترمي إلى إبراز القيمة الفنية للنصوص في ذاتها وما تختزله من جمالية دون الالتفات إلى جهد القارئ، فالنص في نظر هؤلاء قائم بذاته مكتمل بما يختزله من مكونات، غير منقوص بقراءة أو مبتور بفهم، وما القارئ إلاّ مستهلك باحث عما يريد في هذا النص الّذي يكفيه حاجته، غير أن نظرية التّلقي سارت في اتجاه مخالف لهذا الإيمان بعبقرية النص **ولذلك فمن الصعب أن يخطر ببال النقد أنّ النّص ليس في وسعه أن يمتلك المعنى إلاّ عندما يكون قد قُرِئ والتّلقي، بغض النظر عن ميزة النص وملكة القارئ، فعل إنساني خالص متعال عن الزمان والمكان قبل أن يحاصر بتصورات تحاول وضعه في إطار خاص وفق توجهات محددة ، ويمكن أن نقول أنّ فعل التّلقي فعل حر قديم قدم الإبداع،

ومطلق غير خاضع لفترة زمنية محددة، ودون أن نفيض في التدليل على ذلك، سنحاول وضع مصطلح التّلقي في إطاره التاريخي في الثقافة العربية لتبيين دلالاته، فقد وردت كلمة "التّلقي" في القرآن الكريم غير ما مرة، يقول سبحانه في الآية 37 من سورة البقرة:(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنّه هو التواب الرحيم)، ويقول عز وجل في الآية 6 من سورة النمل: (وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم)، وما يهمنا هنا هو التركيز على الجانب التواصلي "والتّفاعل النفسي والذهني مع النص، حيث ترد لفظة التّلقي مرادفة أحيانا لمعنى الفهم والفطنة، وهي مسألة لم تغب عن بعض المفسرين في الإلماح إليها، ولم تغب كذلك عن أدبائنا ورواد التراث النقدي ، وحين نعود إلى نظرية التّلقي الألمانية ونستقرئ الكثير من مفاهيمها، خاصة مفهوم "أفق الانتظار" الّذي تقوم عليه نظرية ياوس ،وهو ما يجعل بعض الدارسين يظنون أنّ فكرة أرسطو حول الأثر الناتج عن عملية التّلقي للنص المسرحي كانت من الأسس التّي عول عليها رواد نظرية الاسّتقبال، في حديثهم عن القارئ ومشاركته في صنع المعنى وفي رؤيتهم لمعنى التّفاعل بين النص وجمهوره .

هذه حقيقة لم يلغها ياوس الّذي ركز على المعطى التاريخي في نظريته، إذ لم يسقط البعد التاريخي ولم يقطع أواصل العلاقة بين الحاضر والماضي، وهو ما عبر عنه جان ستاروبانسكي بوضوح قائلا: "إنّ اهتمام ياوس على هذا الوجه، بالمتلقي الّذي يستجيب للمؤلف، يربط فكر ياوس بأفكار سابقة أرسطية وكانطية، وذلك أن أرسطو وكانط كانا الوحيدين تقريبا من استطاعا في الماضي إقامة جمالية (خاصة بكل منهما) تأخذ أثر الفن في المتلقي بعين الاعتبار بصورة منهجية ، وهنا لابد من الحديث عن عنصريين مهمين نادي بهما ياوس في نظريته للتّلقي هما:(أفق الانتظار والتلقي الخالص)، ومن هنا كان التركيز في مفهوم الاسّتقبال لدى أصحاب هذه النظرية على محورين فقط، هما(القارئ والنص)، فالقارئ عندهم هو المحور الأهم والمقدم في عملية التّلقي .

تطورت نظرية التّلقي على يد هانز روبرت جوس ولفنجانج أيزر*، وطورا بعض منظري وسائل الإعلام الجماهيرية مفهوم المنفعة والبهجة، الّذي لا يركز فحسب على تأثير وسائل الإعلام على الأفراد، بل أيضاً على طريقة الاستخدام لهذه الوسائل وعلى المتعة التّي يحصلون عليها من هذه الوسائل، فركزوا على الدور الّذي يلعبه الجمهور المتلقي، ويلمح إيزر هنا إلى أنّ الجمهور المتلقي في حالة عمل محدد، فهو يميز بين قطبين: الأول فني ويشير إلى العمل الّذي أبدعه الفنان، والآخر يشير إلى العمل الّذي يتم بواسطة القارئ (المتلقي)، وهي لا تتحقق تحققاً فعلياً إلاّ متى قام قارئ أو جمهور متلقي بقراءة أو رؤية أو سماع ذلك النص، والمتلقي في هذه الحال مساوياً أو مكافئاً في الأهمية لمرسل الرسالة .

ج-فحوى نظرية التّلقي:

تؤكد نظرية التّلقي على أنّنا يجب أن نعطي أهمية ملائمة للنص، وأن نأخذ في اعتبارنا دور القارئ ونهج القراء المختلفين (قارئ، مستمع، مشاهد)، في تفسير النصوص حيث اهتم منهج التّأويل بالمعنى والرمز، والتأكيد على رؤية المبحوثين ووجهة نظرهم، مع توضيح كيفية تأثير الأبنية الثقافية المختلفة على الفعل الاجتماعي التّأويلي، باستنتاج المعنى المحلي من خلال التّأويلات التّي يقدمها الأفراد، والمتعلقة بموضوع معين، فبمعنى ما من المعاني أنّ النصوص لا يكون لها وجود إلاّ بواسطة القراء، ولكن منهج التّلقي والتقبل يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص قصد تأويله.

ظهرت نظرية التّأثير والتقبل في ألمانيا في أواسط الستينيات (1966م) في إطار مدرسة كونسطانس ومدارس ما بعد الحداثة، ومنظور هذه النظرية أنّها تثور على المناهج الخارجية الّتي ركزت كثيرا على المرجع الواقعي كالنظرية الماركسية أو الواقعية الجدلية، التّي اهتمت كثيرا بالمبدع وحياته وظروفه التاريخية، والمناهج النقدية التقليدية التّي كان ينصب اهتمامها على المعنى وتصيده من النص باعتباره جزءا من المعرفة والحقيقة المطلقة، والمناهج البنيوية التّي انطوت على النص المغلق وأهملت عنصرا فعّالا في عملية التواصل الأدبي، ألا وهو القارئ، ولا يكون العمل الإبداعي إلاّ من خلال المشاركة التواصلية الفعّالة بين المؤلف والنص والجمهور القارئ، ويدل هذا على أنّ العمل الإبداعي يتكون من عنصرين أساسين: النص الّذي قوامه المعنى وهو يشكل أيضا تجربة الكاتب الواقعية والخيالية والقارئ الّذي يتقبل آثار النص سواء أكانت إيجابية أم سلبية في شكل استجابات شعورية ونفسية(ارتياح، غضب، متعة، تهييج، نقد، رضا)، وهذا يجعل النص الأدبي يرتكز على الملفوظ اللغوي (النص)، والتأثير الشعوري (القارئ) في شكل ردود اتجاه النص، وهذا يدل على أنّ العمل الأدبي يتموقع في الوسط بين النص والقراءة من خلال التّفاعل الحميمي والوجداني الاتصالي بين الذات والموضوع، وإذا كانت المناهج الأخرى تركز على إتجاه واحد في القراءة من النص إلى القارئ فإنّ منهجية التقبل والقراءة تنطلق من خطين مزدوجين متبادلين: من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص، ولا يحقق نص المؤلف مقصده ووظيفته إلاّ من خلال فعل التحقق القرائي وتجسيده عبر عمليات ملء الفراغات والبياضات وتحديد ما هو غير محدد، والكشف على مستوى إستخلاص المعاني عن طريق الفهم والتّأويل والتطبيق، ولن تكون القراءة مثمرة جادة إلاّ إذا وجد القارئ الّذي يعيد بناء النص عن طريق نقده وتأويله انطلاقا من تجربتة، وتفيد منهجية القراءة(التّأويل) في معرفة الآثار الّتي تتركها فينا الأعمال الأدبية ولاسّيما الخالدة منها، ويعني هذا أنّ ما يهم هذه النظرية ليس ما يقوله النص، ولا من قاله ولا مضامينه ومعانيه الّتي تبقى نسبية بل ما يتركه العمل من آثار شعورية ووقع فني وجمالي في النفوس، كما تحاول هذه النظرية أن تعيد قراءة الموروث الأدبي والإبداعي من خلال التركيز على ردود القراء وتأويلاتهم للنصوص وانفعالاتهم،

وكيفية تعاملهم معها أثناء التقبل وطبيعة التّأثير التّي تتركها نفسيا وجماليا لدى القراء عبر اختلاف السّياقات التاريخية والاجتماعية، ويقول ياوس في هذا الصدد: "إذا أردنا كتابة تاريخ أدبي جديد، من خلال رسم يعيد تكوينه، انطلاقا من بقايا الأعمال والتفرعات التاريخية، والتّأويلات، ودعاوي التواصل الأدبي المتخفاة تحته علينا أن نسارع إلى تاريخ التجربة الجمالية ونظريتها ، ومن هنا يبدو أنّ الدّراسة الأدبية عند ياوس: "ليس تحليل النصوص تحليلا هيكليا مضمنا بها، وليس هو أيضا استعراض المعارف المتعلقة بالكاتب وبالأثر وإنّما هو التخاطب الأدبي من خلال ما تتسم به الأوضاع التاريخية والاجتماعية والثقافية من خصائص ."

وهنا لابد من الحديث عن نمـــاذج دراســـات التـــلقي وهي كالتالي:

أ-أنموذج الاستعمال والإشباع: يحقق ثلاثة أهداف رئيسية:

-السعي إلى اكتشاف كيف يستخدم الأفراد وسائل الاتصال، وذلك بالنظر إلى الجمهور النشط الّذي يستطيع أن يختار ويستخدم الوسائل التّي تشبع احتياجاته وتوقعاته.

-شرح دوافع التعرض لوسيلة معينة من وسائل الاتصال، والتّفاعل الّذي يحدث نتيجة هذا التعرض.

-التأكيد على نتائج استخدام وسائل الاتصال بهدف فهم عملية الاتصال الجماهيري.

ترتبط هذه الأهداف الثلاثة بمنظور التحليل الوظيفي من خلال التأكد على نمط السّلوك الفردي حيث يكون الفرد هو وحدة التحليلunité، وتكون علاقات الفرد بمحيطه الاجتماعي هي البناء structure ويكون ملاحظته سلوك الأفراد عند استخدام وسائل الاتصال هو الأنشطة، وتكون نتائج نمط السّلوك الفردي في علاقاته مع كل من وسائل الاتصال والمحتوى والاهتمامات العامة للجماهير هي الوظائف .

ب-أنموذج التّلقـــي:

إنّ كل نص يتلقى ليؤول، وكل تلقي كيفما كان نوعه، يرتبط ارتباطا وثيقا بالتّأويل، ولو أردنا إعادة صياغة هذا الترابط لقلنا،لا تلقي بدون تأويل ولا تأويل بدون تلقي، فالبحث في التلقي والمتلقي غير قابل للتحقق إلاّ ضمن إطار نظري متكامل، ذلك لأنّ المتلقي ليس سوى عنصر أو مكون، من عناصر أو مكونات النص(الموضوع)، وتعود المنطلقات الأولى لنظرية التّلقي إلى دراسات في النصوص الأدبية بألمانيا سنة 1960، حيث ظهرت الفكرة ثم توسعت، ونقصد بنموذج التّلقي النظرية العامة والنظريات الفرعية والمقاربات التّي حاولت الدّراسة من محتوى الرسالة وعلاقتها بالتّأثير الّذي يحدث في سلوك الجمهور"الرسالة والتأثير من ماذا تفعل وسائل الأعلام في الجمهور إلى التركيز على مصير الرسالة بعدما يتلقاها الجمهور الانتقائي والفعّال إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام أي الاهتمام بالمتلقي .

ينتمي هذا الإتجاه من الأبحاث إلى الدّراسات الثقافية، والّتي تشكل المقاربة النقدية الّتي تهتم بإشكالية الجمهور، ويمكن الإشارة إلى أنّ هذه الدّراسات تلتقي في أهدافها مع مقاربة الاستعمال والإشباع في تعرضها إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام، وقد تميز نموذج التّلقي بانتقال اهتمامات البحث من القضايا الإيديولوجية إلى تحليل الرسائل الإعلامية من خلال تساؤلات حول عملية فك الرموز إلى التمايز في ممارسة التّلقي من منظور النوع داخل العائلة ترتب عن هذا التحول إعادة تطاير قضية التّلقي داخل سياق يستدعي الربط بين التكنولوجيات الجديدة ووسائل الاتصال الجماهيري والديناميكيات العائلية بهدف عملية التّلقي في أهدافها المتعددة .

-3مفاهيم الجمهور الحديثة من خلال نظرية التّلقي:

تستمد المفاهيم الجديدة المتعلقة بجمهور وسائل الإعلام وسلوكياته وأبحاثه ومقوماته أساسها من الأدبيات التي أوجدتها تيارات ما بعد الحداثة وذلك ابتداءا من القرن العشرين وأيضا من الأجواء التي خلقتها تكنولوجيات الإعلام والاتصال في المحيط الاتصالي ومن أهم هذه المفاهيم:

أ-السّياق المنزلي:

بدأت مع دراسات دافيد مورلي سنة1986 في المشاهدة التلفزيونية كنشاط يومي يجرى في السّياق المنزلي ويمارس ضمن العائلة، ويمكن إسقاط هذه الدّراسة على الاستماع الإذاعي باعتبار أنّ كل من الإذاعة والتلفزيون وسيلتان للاتصال الجماهيري، غير أن طابع السّياق للتّلقي يطرح تساؤلات حول الكيفية التّي تستخدم بها الوسيلة الإعلامية في المنزل، حول سلطة اتخاذ القرار في الاستماع للقنوات أو المحطات والبرامج التّي تتعرض لها الأسرة ، وقد أحدث هذا الاتجاه الجديد من أبحاث التّلقي قطيعة مع نموذج التّأثير الذي كان سائدا في الأربعينات، فهدف الدّراسة أصبح لحظة التعرض للوسيلة التّي يجب أن تحلل كعملية قائمة اجتماعيا وثقافيا وكمرحلة لتشكيل المعنى من طرف المتلقي.

إنّ مفهوم السّياق المنزلي يسمح بالاهتمام أكثر بمختلف جوانب الظاهرة، فالإطار الّذي تستقبل فيه الرسائل الإعلامية مع حضور أفراد العائلة داخل الوسط الأسري يطرح تساؤلات حول الكيفية الّتي تتحدد بها عملية الاتصال في هذا السّياق المنزلي، وكيف يتم فيه إدماج التكنولوجيات المنزلية وتكيفها مع مستلزمات هذه البيئات حيث تسعى أبحاث التّلقي الحديثة إلى الإجابة على هذه التساؤلات في تطوير نموذج للاتصالات المنزلية والأخذ بعين الاعتبار نشاطات الاتصال المتنوعة الّتي تتعايش في وضعية التّلقي مع الاستعمالات الأخرى لتكنولوجيات الاتصال والإعلام المنزلية مثل الكمبيوتر، الفيديو، الهاتف النقال وغيرها.

ب -التكنولوجيات المنزليةTechnologie Domestique:

تتضمن المنتجات التكنولوجية التي تستعمل في سياق المجتمع كوسائل اتصال جماعية وفردية والتي تشغل حيزا منزليا في السّياق الأسري كالكمبيوتر والهاتف النّقال، وأجهزة الاستقبال الإذاعي والتلفزيوني خاصة المرتبطة بشبكة الانترنت، ولقد احتكر التلفزيون منذ الثمانينات استعمال هذا المفهوم تبعا للدّراسات المكثفة حول الانعكاسات الاجتماعية لهذه التقنية الجديدة، وآثارها على العلاقات الاجتماعية الأسرية وعلى سلوكيات الأفراد، وتعني التكنولوجيات الممارسات المتولدة عنها الدلالات التّي تثيرها فالتكنولوجيات لا تتوفر فقط على قيم مادية ولكنّها تتضمن أيضا قيما رمزية من خلال استعمالها، الأمر الّذي يعطي كل الأهمية لفهم الكيفية الّتي يتم إدماجها في الحياة العائلية، وفهم الكيفية التّي تؤثر بها الحياة العائلية اليومية في التكنولوجيات المنزلية، وقد زاد مجال التكنولوجيا المنزلية بجانب التلفزيون إلى الحواسيب المتصلة بشبكة الانترنت، والأقراص المضغوطة والإبقاء على هذا الفضاء مفتوحا ليتقبل أي تكنولوجيا وافدة للفضاء الأسري .

ج –الديناميكية العائليةDynamisme Famille:

أدخل هذا المنظور تعديلا هاما على مفهوم الجمهور الذي لم يعد مجرد فرد مشاهد أو مستمع أو قارئ لكنّه عضو في الجماعة(الأسرة) المتلقية، وجعل الأسرة مجالا نشطا للممارسات الاجتماعية التّي تتأثر في نفس الوقت بالمحيط الاجتماعي والثقافي، وبالخصوصيات الموجودة داخل كل أسرة كالعادات والتقاليد والطقوس فالديناميكية العائلية هي قدرة الأسرة على التحكم في هذه التكنولوجيات، وإدماجها كأدوات عادية وضرورية في الممارسة اليومية للأسرة وقدرتها على التّأويل وإضفاء الرموز التّي تحملها هذه التكنولوجيات ومضامين الرسائل التّي تنقلها وفقا للخصوصية الثقافية ، كما تعني أيضا قدرة الأسر على إستيعاب الرسائل الظاهرة والضمنية التّي تحملها تكنولوجيات الإعلام والاتصال، فتقوم العائلات بالتّأويل وفك رموز تلك المضامين في إطار تفاعلات تحدث فيها اختلافات بين أفراده.

د–مؤشرات الجيل الثالث من دراسات التلقي:

شهدت دراسات الجمهور في بداية هذه الألفية تطورا سماه(دافيد مورلي) الجيل الثالث من دراسات التّلقي في سياق إعادة التفكير في جمهور وسائل الإعلام، بعدما كان ينظر له كفرد سلبي، هذا الجيل الجديد لم ترتسم معالمه النهائية بعد*، ولكن يمكن تلمسه في العديد من الظواهر والمفاهيم المرتبطة به، هو انعكاس ناجم عن جملة من الأحداث والعوامل والمؤشرات التكنولوجية والاقتصادية والسياسية التي كان لوسائل الإعلام الدور الحاسم في إبرازها، ومن ضمن الأبعاد الجديدة التي اكتسبها منظور التّلقي بفضل تطور أبحاث الجمهور وانعكاسات تكنولوجيا الاتصال والإعلام الجديدة، عنصر الوجود اللامادي في الزمن والمكان والذي سمي بعالم ما بعد

الجمهور، حيث أضافت هذه التكنولوجيا تشكيلة متنوعة من العناصر الداخلة في تكوين الجمهور لم تكن متوفرة في أنظمة الاتصال الجماهيرية سابقا وهو نظام الاتصال الرقمي والانترنت حيث أنّ الاتصال الرقمي لم يمنح حرية الاختيار المطلق للمتّلقي وحسب، لكنّها قضت أيضا على العديد من القيوم الّتي تفرضها وسائل الإعلام التقليدية على جمهورها ونشير بالذكر أنّ نظرية "التلقي" تعرضت لهجوم عنيف من قبل عدد من نقاد ألمانيا الديمقراطية في أوائل السبعينات لأنها لم تزودنا بأية معايير نستند إليها لتقييم النص أو عملية التّلقي والحكم عليهما، كذلك ظهور آفاق التّلقي الجديدة من خلال العولمة والاقتصاد اللامادي والثورة التكنولوجية العولمة، الاقتصاد اللامادي الثورة التكنولوجية الحديثة، الإنسان بوصفه متلقيا، والتلقي عن بعد.

-4فعـــل التّأويـــل وبنـــاء المعـــاني:

يفيد التّلقي ما ينشئه النص في القارئ أثناء القراءة، فيجعله يقوم بعملية استحضار ما قرأه أو ما هو موجود عنده في ذاكرته، وما اكتسبه من قناعات وتصورات، فإنّ هذا الاستحضار يؤدي إلى خلق علاقة بين النص والقارئ والى استجماع المعنى الذي يصل إليه القارئ، ويتحدد هذا المعنى بالبنية النصية تبعا للإجراءات الّتي يقوم بها القارئ أثناء القراءة، وكلما كانت عملية استجماع المعنى من النص مشروطة بتدخل القارئ أثناء القراءة، كلما كانت عملية استجماع المعنى من النص مشروطة بتدخل القارئ وانتظامه للاستجابة من حيث استعداده للقيام بعملية الاستحضار من جهة، وإخضاع هذا الاستحضار لإمكانية توليد استجابة جديدة من شأنها أن تتغذى بما يقدمه النص، فإنّه يحصل التساؤل على المستحضر من طرف موسوعة القارئ، إما بنفيه أو تأكيده وتكوين معنى جديد لم يسبق له أن تولد من قبل، ثم يستمر في عملية القراءة بهذه الصورة، حتى ينتهي إلى استجماع معنى ربّما يخالف ما كان عنده آو يؤكد بعض ما كان عنده أو يرفض ما يقرأ ، ومن خلال هذا المحور والخاص بالتأويل سنتعرض للعناصر التالية:

أ-التلقي وأحادية التّأويل:

يفترض في مجال التّلقي الجماعي عامة أن تقوم الذات المتلقية بتكوين تصورات وبناء ذهني لما تتلقاه متخذة من قدراتها الخاصة وإمكانياتها المتاحة لها ما تقوى به على صياغة تصور للموضوع المتّلقي، وتكون هذه الذات محكومة في هذه العملية من التّلقي بما اكتسبته من قبل، وما تستحضره أثناء التّلقي، وبذلك يجمع التّلقي بين ما هو قائم في الذهن وما يمكن أن يحدث أثناء عملية التّلقي، فالعقائد والقناعات والمعايير والأنّماط والقوالب لدى المتّلقي من خلال ما أشبع به من مفاهيم، وما جهز به من أنّماط معرفية وجمالية والموضع الاجتماعي والثقافي والديني والأخلاقي، كل ذلك يلعب دورا أساسيا في هذه العملية، ويحصل أثناء التّلقي ما يحصل أثناء القراءة

حيث تتم عملية استدعاء (الاستجابة) ويكون لهذا الاستدعاء دور في صيرورة التلقي، ومواصلة إنتاج المعنى، فاستدعاء الاستجابة إمّا أن يؤدي إلى تأكيد التصورات السابقة برفضها أو تقبلها، بحكم ما يقدمه الموضوع المقروء ، لذلك فيجب إتباع إستراتيجية محددة وممنهجة للبحث في التّلقي ومن بينها المرجعية السابقة للمتلقي لكي يستطيع أن يؤول تأويلا صحيحا ينصهر مع الأفق المعرفي والتاريخي والسوسيولوجي .

إذا أردنا إسقاط التّلقي في الأدب على التّلقي في الإعلام نجد أنّ جمهور المتلقين كثير، مختلف الكفاءة والتكوين والذوق والثقافة، لذا اختلف الدارسون أنفسهم حول توحيد مفهوم"المتلقي" فهو مرة قارئ تجذبه بنية نصه وما قراءته إلاّ مجرد ردود أفعال لمثيرات النص عند "ميخائيل ريفاتير"، كما يمكن أن يكون لحظة وقع معينة تتم عند التقاء القارئ بالنص وحدوث أثر معين في ذهنه تتركها دلالة النص عند "أيزر"، كما يمكن أن يكون ممتلكا لكفاءات ضمنية يواجه بها غموض النصوص وإلتوءاتها لكن برغم اختلاف هؤلاء الثلاثة فإنّ قارئهم ومنغمس في نصه مشكلا صنفا واحدا من أصناف القراء، وهو "قارئ" متضمن في بنية نصه المقروء ابستيمولوجيا خاصة نتيجة معرفية حتمية وضرورية .

لقد إنتقل البحث من المرسل ومجتمعه وثقافته إلى المضمون وتركيباته إلى "مرجعية المتلقي" ذلك القارئ الذي يقرأ النص بثقافته ومجتمعه ومعارفه اللغوية وغير اللّغوية، كما يعود الفضل الكبير إلى النظرية التواصلية الّتي أعطت أهمية كبيرة للمرسل إليه الذي لم يعد ذلك المتلقي السلبي بل حيوي نشط يشارك في تأويل الرسائل ويعطيها مضامينها ، ونشير بالذكر أنّ الاهتمام بمرجعية القارئ وهي المرحلة الأخيرة في دراسات التّلقي حيث إهتم الأمريكي "ميخائيل ريفاتير"*بالمتلقي وعالج مفهومه هذا داخل فكر سلوكي محض، ذلك أنّ الدراسات الأمريكية حينها كان تشهد تطورا علميا كبيرا فيما يخص السّلوكية النفسية، ودور المتّلقي محدود متضمن لاستجاباته لتلك المثيرات النصية سواء بالسلب أو الإيجاب، فالمتلقي هو قارئ ضمني للنص يسمح لنا أن نفسر كيف ينتج أثرا ويأخذ معنا" ، وما التمثلات الموجودة في ذهن المتّلقي إلا ترجمة لبنيات النص حتى وإن تلونت محتوياتها بتجربة كل قارئ *.

ب-إنتـــاج المعـــاني ، فهمها وتفسيرها:

يعد الناقد هانز روبرت ياوس (1997-1921) *من أبرز أعلام مدرسة كونستانس التّي عني أفرادها بصورة عامة، بعلاقة دلالة النص الأدبي بالقاريء، وقد طور ياوس مع زملائه نظرية التلقي ومعنى التّأويل وعلاقة ما يتوقعه القراء من العمل الأدبي، وقد صاغ ياوس تعبير "أفق التوقعات " ليفسر أسس عملية الاستقبال حيث تتحدد قيمة أي نص بالاستناد إلى المسافة التي تقوم بينه وبين "أفق التوقعات"، حيث يذكرنا مصطلح "أفق

التوقعات " بتعبير " اندماج الآفاق " الذي صاغه وفسر استنادا إليه عمليات فهم الماضي والآخر، إذ بدلا من الحديث عن الفهم كحقيقة موضوعية، فعملية القراءة هي نوع من تجسير الفجوة بين الماضي والحاضر ونحن إذ نمارس فعل القراءة لا نستطيع التخلص من الأفكار الجاهزة والتمايزات المستقرة في ثقافتنا ولكننا مع ذلك نستطيع في هذا الأفق المحدود تاريخيا أن نتوصل إلى بعض الفهم الذي يمكننا من إلقاء بعض الضوء على النصوص القديمة وفي أثناء عملية الفهم هذه قد يحصل نوع من الاندماج بين" أفق توقعاتنا" وآفاق كتابة الماضي وقراءته، ولهذا يضع ياوس العمل الأدبي في "أفقه" التاريخي، وفي سياق المعاني الثقافية التي سبق إنتاجها، ثم يعمل على تفحص العلاقات المتغيرة بين هذه المعاني و"الآفاق" المتغيرة لقراء العمل التاريخيين، ويرى ياوس وبناءا على تصور نظري جديد للعلاقة بين النص والقاري أن هناك خمسة أنماط من التّفاعل بين العمل الأدبي وكيفية تلقيه : وهي علاقات التداعي، والإعجاب، والتعاطف والتطهير، والإحساس بالمفارقة، ومن ثم فإنّه يوفر نموذجا شاملا لفهم العلاقة بين علم الجمال وعملية استقبال الأعمال الأدبية متوجا بذلك نظريته في التّلقي التّي ركزت في البداية على بنية " توقعات " القراء، وفتحت حوارا بين الماضي والحاضر" مدرجة التفسير الجديد ضمن السلسلة التاريخية لتفعيلات المعنى" ، فالمعنى ليس شيئا يستخرج من النص أو يتم تجميعه من إيحاءات نصية، بل يتم التوصل إليه من خلال عملية تفاعلية بين القارئ والنص .

-5علاقة نظرية التّلقي بنظريات الاتصال:

يرجع ياوس وآيزر الفضل في نشأة نظرية التلقّي أنّها، كانت مدينة لذلك النشاط العارم الذي بلورته نظريات الاتصال، وكثيراً ما أشار روّاد هذه النظرية إلى عمق الصلة بين الاثنين، بل ذهبوا إلى أنّ جهودهم تترتب ضمن أفق نظرية الاتصال، وهو ما أكده ياوس حينما قرّر أنّ نظرية التلقّي لابد أن تبلغ مداها في نظرية أعم في الاتصال، لأنّ الاتجاهات النقدية الحديثة وضعت قضية الاتصال في صلب اهتمامها، فكل المحاولات التّي تتبلور من أجل صياغة نظرية تلقّي، إنّما هي متصلة بنظرية الاتصال، لأنّ القصد من كل ذلك هو تقدير وظائف التّلقي والتّفاعل وكل ما يتصل بذلك، ويشاركه في ذلك آيزر الذي يشتغل على مفاهيم البنية والوظيفة والاتصال فجهوده قائمة على تنظيم صيغة التفاعل بين النص والقارئ، من أجل سريان الفاعلية بينهما فهو يفهم الاتصال الأدبي على أنّه نشاط مشترك بين القارئ والنص، بحيث يؤثّر أحدهما في الآخر من خلال عملية تنظيم تلقائية ويرى جاتمان أنّ النص السردي يكون نتاجاً للمستويين الثاني والثالث فإليهما تعود مهمة إنتاج الأثر السردي المجرد قبل أن تغذّيه القراءة بإمكانات التّأويل، ولهذا يحدّد إيكو الأشكال الّتي يمكن أن تتخذها المقارنة بين العالمين :

-1يتسنّى للمتلقّي أن يقارن العالم المرجعي بحالات من الحكاية مختلفة، محاولاً أن يدرك إذا كان ما يجري يستجيب لمعايير الممكن الوقوع. وفي هذه الحالة، يقبل المتلقّي الحالات قيد المعالجة باعتبارها عوالم ممكنة.

-2يمكن للمتلقّي أن يقارن عالماً نصياً بعوالم مرجعية مختلفة، وذلك استناداً إلى نوع من المماثلة الممكنة وقابلية حصولها، ويصار في هذه الحالة إلى التصديق بالمماثلة أو رفضها بناءً على نوع المخزون الثقافي لدى القارئ ومدى خضوعه لنسق ثقافي يمكنه من التصديق أو التكذيب.

-3قد يتاح للمتلقّي أن يبني عوالم مرجعية مختلفة، أيّ منوّعة عن العالم الواقعي، فالرواية التاريخية، على سبيل المثال أثناء تمثيلها في المسرح، تتطلّب الرجوع إلى الخزين التاريخي، فيما تتطلب حكاية أخرى العودة إلى خزين التجارب المشتركة، وكما يلاحظ فالتنافد قائم بين عمليتي الإرسال والتلقّي، فالسلسلة اللّفظية المشفّرة الّتي يرسلها الممثل في المسرح، يقوم المتلقّي بحلّها في ضوء السّياق الثقافي، وبذلك يستمد دلالته من المضمرات النصيّة الّتي تستثار بعلاقاتها المختلفة بالمرجع، فالتّأويل يبدأ من السّياق المعرفي للمتلقي، ثم السّياق الاجتماعي- النفسي، وأخيراً السّياق الاجتماعي- الثقافي وربط كل دراسة سياقية بهدف له علاقة بالنص، وانطلاقاً من الاهتمام بالقراء كعنصر محوري في البحث النقدي للتّلقي يقترح ياوس طريقتين لرصد التّلقي: إحداهما ترصد التحولات الثقافية الكبرى المحددة للحظات الحاسمة في تحول الأذواق والعقليات والطريقة الأخرى تتناول بالبحث في التاريخ الموثق لعمليات التّلقي من خلال دراسة تلقي الأعمال الأدبية والمؤلفين وعنصر الاستجابة هو الخيط الموصل بين الرسالة والمتّلقي وبها يتحقق الإقناع.

-6الجمهور الجزائري وأنماط تلقيه:

أ- إشكالية مقاربة الجمهور الجزائري

يرى الباحث الجزائري علي قسايسية أنّ المجتمع الجزائري محكوم عليه بالاندماج الجبري في عالم العولمة، وبالتالي التكيف مع خصوصياته المحلية، ونأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات المحلية الديموغرافية والسوسيو ثقافية التّي تلعب دور أساسي في التّفاعل الاجتماعي فيما بين أفراد الجمهور أثناء التعرض لوسائل الإعلام كمنبهات من جهة، وبين المتّلقي والمرسل في سياق سوسيو تقني ثقافي وتكنولوجي جديد من جهة أخرى، وأنّه يجب الانتقال إلى التحليل الجزئي في البحوث التّي تعيد الاعتبار للوحدة الاجتماعية الأساسية والمتمثلة في الأسرة ومفرداتها ومكوناتها الجزئية التّي يمثلها أفراد الأسرة الجزائرية، لما تتميز به من تنوع ثقافي وتعدد إثني وعلاقات وروابط تقليدية تجعل مسالة تلقي الرسائل تتم في سياق يختلف عن المجتمعات الحديثة، وبالتالي تستلزم دراسات الجمهور في الجزائر التحديد الإثنوغرافي وإجراء تحريات علمية حول أنظمة التّأويل، والعمليات الّتي يقوم بها المتّلقون، والبحث

الإثنوغرافي هو أنسب للدخول إلى عوالم الأسر وسياقاتها في إطار تلقي الرسائل الإعلامية كفعل فردي واجتماعي، ووصف أفعال هذه الأسر، أي فهم السّلوك في سياق اجتماعي عبر مشاركة الباحث في الوضعية المدروسة، والجزائر يمكن أن تكون مخبرا طبيعيا لدراسة والبحث باعتبارها مزيجا من الثقافات الفرعية والإثنية (شاوية، قبائل، عرب، طوارق، مزابية) .

ومن أهم الأسباب التّي تجعل جمهور وسائل الإعلام في الجزائر غير معروف بما فيه الكفاية لدى القائم بالاتصال – خاصة في العشريتين الأخيرتين – هو المفهوم المتداول حول هذا الجمهور، إذ لا يزال يُعتبر مجموعة من المتفرجين والقراء والمستمعين والمشاهدين، وهذا هو النوع الّذي يُستخدم في معظم أبحاث وسائل الإعلام ويعتمد مفهوم الجمهور هنا على العدد فيقصد به العدد الكلي للأفراد الذين تصل إليهم وحدة من وحدات المضمون الإعلامي، كما يضاف إلى ذلك عدد الأفراد من بين الجمهور الكلي والذين يتمتعون بصفة ديموغرافية معينة كالسن والدخل والمستوى التعليمي، تهم مرسل الرسالة الإعلامية .

وللتعرف على كيفيات تلقي الجمهور الجزائري يجب الاقتراب من مفهوم جمهور وسائل الإعلام، مقاربة اجتماعية، أي اعتباره أحد أهم مكونات النظام الاجتماعي القائم، يخضع إلى نفس الخصائص التي يخضع لها الجمهور في الأنظمة الأخرى إضافة إلى المقاربات "الكلاسيكية" الأخرى التّي إعتدنا على دراسته من خلالها أي اعتباره عددًا كبيرًا من الأفراد متباينين في خصائصهم، منتشرين في حيز مكاني غير محدد، يمتاز بالا تجانس أي أنّ أعضاءه ينتمون إلى وحدات اجتماعية مختلفة، وهي عملية صعبة لا تتعدى نطاق المحاولة، لقلة البحوث والدّراسات الّتي تناولت سمات جمهور وسائل الإعلام في الجزائر وخصائصه الشخصية أو سماته النفسية لأنّ العلاقة بين عناصر المجتمع الإنساني، هي في ذات الوقت بديهية باعتبار أن الجمهور جزء من النظام الاجتماعي ككل ولهذه العلاقات المتبادلة تأثيرات خاصة على سلوك الجمهور واهتماماته .

يؤكد هذا الاتجاه على وجود التفاعل الاجتماعي ليس بين الأفراد أعضاء الجمهور فقط، ولكن بين هذا الجمهور كتنظيم اجتماعي، وبين نظام الإعلام كنظام اجتماعي يعمل في سياق هذه النظم، غير أنّ ملامح الجمهور الجزائري والخاصة بالنّظام الإعلامي منها، غير واضحة نتيجة لحداثة تطور نظام الإعلام في بنائه " التعددي " الجديد من جهة، وغموض طبيعة وظيفته في التفاعلات الاجتماعية من جهة أخرى، ونشير بالذكر أنّ قلة دراسات الجمهور في الجزائر أو غيابها في الكثير من الأحيان، حرم القائمين على وسائل الإعلام من معرفة احتياجات هذا الجمهور ورد فعله إزاء المضمون المقدم من وسائل الإعلام والاتصال لاسيما جمهور المسرح، وعليه بقي الجمهور مجرد هدف لوسائل الإعلام تريد حصره في قوالب ذهنية ذات أبعاد محددة،

تزيد من سلبيته ، فإذا لم تكن هناك دراسات لهذا الجمهور، فكيف يُقدم مضمون وسائل الإعلام على أنّه ما يحتاجه الجمهور؟، ويعتقد القائمون على وسائل الإعلام، أنّهم على دراية كافية بما يحتاجه الجمهور، وعليه فهم " في خدمته " باختيار ما يريدون من مواضيع ويطرحون ما يرونه ضروريًا من قضايا، وهذه مغالطة في غياب ما يمكن أن يشكل مرجعًا لمعرفة الجمهور، فعمليات سبر الآراء تعد من بين الوسائل لتحديد ما يحتاجه، وعلى قلتها في الجزائر فإنّ مضامين وسائل الإعلام لا تعبر بالضرورة عن احتياجات واهتمامات الجمهور.